الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم التسجيل ط1: 171735088480

رقم التسجيل ط2: 20085085759

تلمسان من الحكم الزياني إلى سلطة العثمانيين

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر LMD في التاريخ تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبتين:

أماني بشيري

نادية جغبالة

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1				رئيسا
2	مصطفى عبيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3				ممتحنا

السنة الجامعية:1442هـ/1443هـ-2022/2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم التسجيل ط1: 171735088480

رقم التسجيل ط2: 20085085759

تلمسان من الحكم الزياني إلى سلطة العثمانيين

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر LMD في التاريخ تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبتين:

أماني بشيري

نادية جغبالة

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1				رئيسا
2	مصطفى عبيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3				ممتحنا

السنة الجامعية:1442هـ/1443هـ-2022/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى:

"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْ
بِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ على نُورٍ
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ" سورة النور الآية 35

الحمد لله ربي العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلاة الله وسلام على اشرف المرسلين صفوة خلقه، وخاتم أنبياؤه

ورسله سيدنا محمد ورحمة لله ومغفرة وصحابته أجمعين، وبعد...

بعد توفيق لله في إنجاز هذا العمل انه من دواعي سرورنا بعد

ان اكرمنا إنجاز هذا العمل المتواضع ان نتقدم إلى والدينا بجزيل

الشكر والعرفان حفظهما لله ورعاهما وان نتقدم بشكر للأستاذ

الفاضل الدكتور مصطفى عبيد لتفضله بالإشراف على هذا العمل

والذي وقف معنا وساندنا بجهده ومشورته وخبرته حتى أخذ هذا

البحث في صورته النهائية فجزاه الله خير جزاء

كما يسرنا أن نتقدم بشكر لكل من ساعدنا وشجعنا وشاركنا من

قريب أو بعيد ولو بدعاء

في إنجاز هذا الجهد المتواضع

قائمة المختصرات:

1- باللغة العربية:

تر: ترجمة

تص: تصوير

تع: تعريب

تق: تقديم

ج: الجزء

د ط: دون طبعة

د. ب: دون مكان طبع

د. ت: دون تاريخ

ص: صفحة

ط: الطبعة

ع: العدد

م: ميلادي

هـ: هجري

مقدمة

مقدمة:

في الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي بصفة عامة وعلى سواحل المغرب الأوسط بصفة خاصة، ضمن المشروع الإسباني الذي كان يهدف إلى احتلال المنطقة بسبب ضعف المقاومة االمحلية وغياب السلطة الزيانية التي انحصرت في مدينتي الجزائر وتلمسان، تلك السلطة التي أعلن ّحكامها بدورهم التبعية للأسبان، وبعد أن عانى السكان من اعتداءات الإسبان وكذا الخلافات التي نشأت بين حكام الدولة الزيانية، كان ضروريا ظهور قوة جديدة تقوم بواجب التحرير ضد الاحتلال.

وفي هذه الأثناء ظهر الإخوة بربروس الذين كانوا سيضطلعون بدور هام في توجيه العلاقات في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بين بلدان المغرب الكبير وإسبانيا، حيث ساد الغموض مستقبل المنطقة وبرز الباح بابا عروج وأخواه خير الدين وإسحاق وبعدهم الصالح رايس الذين انضم إليهم العديد من السكان والمهاجرين وشكلوا قوة سعوا من خلالها إلى السيطرة على الجهة الغربية للجزائر خاصة مدينة تلمسان وبهذا تم نهاية الحكم الزياني بتلمسان وألحقت بالسلطة العثمانية.

ومن هنا جاءت دراستنا لهذا الموضوع المعنون بـــ: تلمسان من الحكم الزياني إلى السلطة العثمانية.

الدراسات السابقة:

أما بالنسبة للدراسات التي تطرقت إلى موضوع بحثنا بصورة أو بأخرى:

- رسالة ماجستير: لبسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633هـــ-962هـــ/1235-1555م).

- رسالة ماجستير: لنعيمة بوحمشوش، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر.

- - رسالة ماجستير: لطاهر تومي: العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية.

دوافع اختيار الموضوع: من هذا المنظور جاء اختيارنا لهذا الموضوع نتيجة لجملة من الدوافع مجتمعة، يمكن أن نوضحها في النقاط التالية:

- الرغبة في دراسة موضوع تلمسان من الحكم الزياني إلى السلطة العثمانية.
- معرفة أوضاع تلمسان السياسية والعسكرية والاجتماعية وكذا الاقتصادية.
- معرفة ظروف تواجد الإخوة بربروس بالجهة الغربية خاصة تلمسان.
- محاولة تسليط الضوء على الدور الفعال الذي لعبه الإخوة بربروس في إلحاق تلمسان بالحكم العثماني.
- تسليط الضوء على ضوء صالح رايس في ضم تلمسان إلى السلطة العثمانية.
- أن يكون هذا البحث مرجعًا للباحثين في هذا الموضوع الهام خلال هاته الفترة.

إشكالية الموضوع:

لمعالجة هذا الموضوع نطرح الإشكال التالي:

كيف تم انتقال نظام الحكم في تلمسان من أيدي ملوك بني زيان إلى أيدي نظام الدولة العثمانية؟

المنهج المتبع:

لقد استخدمنا في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي، فهو الأنسب لمثل هذه الدراسات حيث اعتمدنا عليه في تتبع الأحداث التاريخية في عهد رياس البحر سرد أحداثها، فقد سهل لنا هذا المنهج انتقاء المادة العلمية من مصادرها الأولية ونقدها وتمحيصها، بالإضافة كذلك إلى اعتمادنا على المنهج الوصفي الذي استخدمناه في وصف الأوضاع السائدة خلال هذه الفترة، كما تم الاعتماد على المنهج التحليلي لتحليل الوقائع والأحداث المختلفة.

منهجية البحث:

بناءا على تم الاطلاع عليه من مادة علمية لها صلة بهذا الموضوع، ارتأينا تقسيم دراستنا هذه إلى مقدمة فصلين، حيث تناولنا في الفصل الأول الموسوم بـــ الأوضاع العامة بتلمسان خلال نهاية الحكم الزياني، وقد قسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول تطرقنا فيه إلى الأوضاع السياسية والعسكرية بتلمسان، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان: جهود العثمانيين في الدخول إلى تلمسان، وقد قسمناه بدوره إلى مبحثين، الأول تطرقنا فيه إلى جهود الإخوة بربروس فتكلمنا عن ظروف تواجد الإخوة بربروس بتلمسان، وكذا سيطرة الإخوة بربروس على تلمسان وضمها للدولة العثمانية، أما المبحث الثاني فتطرقنا في صالح رايس ينجح في إلحاق تلمسان بالحكم العثماني.

نقد وتقييم لأهم المصادر والمراجع:

لقد كان للمصادر والمراجع التي تناولت الموضوع الدور الكبير والهام في بلورة الأفكار وسهلت لنا إتمامه والتي يمكن تصنيفها إلى:

1-مصادر جزائرية: لعل أهم هذه المصادر التي تحدثت على موضوعنا هي:

- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان
- مؤلف مجهول، فتح خير الدين لتونس مختصر من غزوات عروج

2- كتب التاريخ العام:

- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج3
- عبد العزيز فلالي، تلمسان في العهد الزياني –دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية
- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية –ج1- الأحوال السياسية

الصعوبات:

لات يخلو أي بحث علمي من صعوبات قد تعترضه وتعيق تقدمه، ودراستنا كأي بحث اعترضته بعض الصعوبات نذكرها فيما يلي:

- صعوبة التنسيق بين مصدر وآخر ومرجع وآخر.
- جل المصادر والمراجع تتحدث على نفس الأحداث وتكاد تكون متطابقة وهو ما صعب علينا عملية التحرير والتنويع بين هذه المصادر والمراجع.

الفصل الأول

الأوضاع العامة بتلمسان خلال نهاية الحكم الزياني

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية بتلمسان

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

أولا: الأوضاع الاقتصادية

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية بتلمسان

المتبع للوضع الزياني يرى أن أمراء بني زيان توالوا الحكم في فترة زمنية قياسية إلى درجة أنه في سنة واحدة جلس على كرسي العرش أكثر من ملك، حيث يذكر أحمد التوفيق المدني أنه بعد مقتل عروج سنة 1517م تولى الحكم أكثر من أميرين، يقول: "...الملك أبو سرحان المنصور قد خلع سلطة أبي زيان ونصب نفسه ملكا على ذلك العرش الذي كان من ذهب، فأصبح من قصب، ثم خان العهد...؛ لكن شقيقه عبد الله ثار عليه وطلب النجدة من العثمانيين".[1]

ويذكر التنسي في كتابه "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان" في هذا الصدد بقوله: "لما بويع أمير المسلمين يغمراسن بني زيان، أوضح للخلافة الحسنة الأثار ورفع لمن ضل على السبيل هداها على المنار، فابتهج الدهر لوجوده وأشرق من فلك اليمن نجم سعوده، واخضر للملك ما كان قد ذبل من عوده..."،[2] حيث كان يغمراسن بن زيان يتحرز من نيات الموحدين والحفصيين، كما كان على حذر من أطماع بني مرين، لما كان بينه وبينهم من وقائع متعددة، إلا أنه كان مرتبطا بالموحدين برباط المودة[3].

فالبدايات الأولى للصراع على تلمسان تمثلت في الحملة الأولى التي قام بها الحفصيون على المدينة بقيادة سلطانهم أبي زكريا سنة (639-640ه/1241م- 1242م)، حيث جهز جيشا لغزوها فأحكم عليها الحصار إلى أن فتحها سنة 640هـ، فقتل السكان ونهب الخيرات وخرب العمران، أما خلال القرن (9هـ/15م) فقد عرف المغرب الأوسط تدخلات متتالية في شؤون الدولة الزيانية من جيرانها الشرقيين الذين حاصروا

---

[1]- أحمد التوفيق المدني، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين (1530-1550م)، الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1976، ص 43.

[2]- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان -مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، د ط، تح وتع: محمود أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 115

[3]- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور -دورها في سياسة وحضارة الجزائر-، تق: عبد الجليل مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007م، ص 84.

تلمسان مرات عديدة، انتهت كلها بالقتل والنهب، فضلا عن استبداد صاحبها عبد الواحد الذي استولى عليها بقوة، إلا أن حكمه لم يدم طويلا حيث أزاحه الحفصيين وأقاموا بدله محمد بن أبي تاشفين، إلا أن الحفصيين لم يلبثوا يكررون التدخل في شؤون الدولة الزيانية الداخلية سنتي (832هـ-1428م) و(835هـ-1431م)، حيث عرف الزيانيون أخطر حملة أيام السلطان الحفصي المنتصر، إذ غزا تلمسان وكذلك حاصرها، كما عرفت تلمسان غزوا أخرا سنة (870هـ-1466م) من جيرانها الحفصيين بعد نكث البيعة الحفصية كل مرة[1].

وكنتيجة لهذه الحملة الأخيرة تعرضت المدينة للحصار وهذا بعد معارك طاحنة بين الجيش، انتهت هذه المرة بتدخل القضاة والفقهاء لدى السلطان الحفصي طالبين العفو منه، فاشترط عليهم البيعة وهو ما تم فعلا، أما عن صراعاتها الغربية مع جيرانها المرينيين فإنه اعتبر أشد وأخطر من السابق، إذ كانت الحملات العسكرية التي قام بها المرينيون أواخر القرن (7هـ/13م)، وطوال (8هـ/14م) على ممتلكات وأراضي الدولة الزيانية انتهت أغلبها بمحاصرة تلمسان مرارا واحتلال أراضي واسعة من منطقة المغرب الأوسط[2].

إن الحملات العسكرية التي قام بها السلطان المريني يوسف بن يعقوب ضد الدولة الزيانية، أدت إلى حصار مدينة تلمسان، وهذا ما أدى إلى نفاذ صبر التلمسانيين من ذلك الحصار والتضييق ولم يبقى لهم إلا الخروج والاستماتة، إلا أن السلطان يوسف بن يعقوب طعن بخنجر من قبل خصي فقطع أمعاءه وهرب وكان ذلك يوم الأربعاء (07

[1]- بلحاج محمد، مخطوط النجم الثاقب فيها لأولياء الله من مفاخر المناقب "الجزء الأول" دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، تخصص الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2017-2018م، ص13.

[2]- المرجع نفسه، ص 16-17

ذي القعدة سنة 706هـ-10 ماي 1307م)، وبمقتل السلطان تخلص بنو زيان وأهل المدينة من عدوهم.[1]

بعد مقتل السلطان يوسف بن يعقوب عقد أبو زيان صلحا مع أبي ثابت المريني خليفة أبي يعقوب، وبدأ يسترجع بعض المناطق الشرقية التي استولى عليها بنو مرين أثناء الحصار، وبذلك عادت إلى تلمسان أهميتها السياسية بالغرب، وأصبح سلاطينها أكثر استقلالا، ولما توفي أبو زيان (707هـ/1308م) خلفه أبو حمو موسى الأول، فاستهل حكمه بعقد الصلح مع أبي ثابت ليضمن استقرار الحدود الغربية[2]، والذي تميز عهده بـ:

- إصلاح ما تهدم خلال الحصار المريني وتوفير المئونة داخل تلمسان.

- استعادة الأراضي التي فقدتها الدولة واستولت عليها القبائل التي اغتنمت فرصة الصراع، فقامت بإعلان انفصالها عن الدولة.

استطاع عبد الرحمان أبو تاشفين (718هـ-737هـ)، (1318م-1337م) والذي يعتبر من أقوى أمراء الدولة بعد يغمراسن بن زيان أن يغمر الثورات وعرفت تلمسان في عهده ازدهارا في جميع الميادين، لكنه لم ينعم بهذه العظمة التي وصلتها الدولة، لأن الدولة المرينية رأت في بقائها خطرا عليها فتحالفت مع الدولة الحفصية، وبذلك أصبح أبو تاشفين يواجه الخطر الحفصي من الشرق والمريني من الغرب مما جعله يتحصن بتلمسان ويتولى قيادة الجيش بنفسه[3].

قام أبو الحسن المريني بقيادة الحركة التوسعية على حساب الدولة الحفصية، إلا أن هذا الطموح توقف في القيروان، عندما تعاونت القبائل العربية عليه، حيث كان بني

---

[1]- محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص 116

[2]- لطيفة بشاري بن عميرة، صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد". مجلة عصور الجديدة، ع 7-8، 2012/2013، وهران، ص 64

[3]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية-الأحوال السياسية د ط، ج1، منشورات الحضارة، 2009م، ص 12-13

عبد الواد من مرافقيه في حملته فتوجهوا إلى تلمسان فاستولوا عليها، وعين أبو ثابت وأبو سعيد لتولي شؤون الدولة، حيث تمكن هذين الأخيرين من إعادة إحياء الدولة وتقسيم الحكم بينهما، ولكنهما واجها الخطر المريني من جديد ولم يستطيعا إيقافه فسقطا شهيدين، وبذلك عادت الدولة من جديد إلى الاحتلال المريني.

وبذلك استطاع أبو حمو موسى الثاني أن يغتنم فرصة الاضطرابات التي عرفتها الدولة المرينية في عهد سلطانها أبي عنان، فعاد إلى تلمسان بمساعدة بني هلال الذين زودوه بقوة عسكرية مكنته من الدخول إلى تلمسان بعد القضاء على الحامية المرينية، وبذلك تمكن من إعادة المجد للدولة والذي وجد مساعدة من شيوخ تلمسان وأعيانها ومن بين هؤلاء موسى بن حمزة وعبد الله بن عثمان وسليمان بن موسى أبو عبد الله محمد المستعين بالله[1].

وبعد ذلك وجه ولده المتوكل على رأس القوة العسكرية لاستعادة إقليم الدولة، فاستولى على متيجة وملیانة وتنس، وخلال قيام هذا الأخير بالتوسع في إقليم الدولة قام أحمد بن ناصر بن أبي حمو بثورة وأيدته طائفة من أهل تلمسان، لكنه لم يتمكن من القضاء على الأمير فألقي عليه القبض وقتل[2].

ولمواجهة الثورات لجأ سلطان تلمسان إلى بناء السور العظيم الذي أحيط بالقصر، وفي تلك المدة قام المتوكل فاستولى على وطن بني راشد وهوارة، ثم مستغانم وتمزغران ثم عمد إلى وهران، فافتتحها ومنها دخل إلى تلمسان، حيث بدأ المتوكل في حياته السياسية بجمع أفراد الأسرة الزيانية، الذين شتتهم الاضطرابات والحروب التي عرفتها الدولة مما دفع ببعضهم إلى ترك تلمسان واللجوء للمرينيين والحفصيين وللقبائل

[1]– مختار حسانى، المرجع السابق، ص 13

[2]– المرجع نفسه، ص 15

العربية والبربرية، والهدف من وراء ذلك فك النزاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة لكي تستطيع الدولة أن تحتفظ على قوتها واستمرارها[1].

وخلاصة القول فان تلمسان كانت قد تعرضت في هذه الفترة أي الفترة الزيانية إلى الكثير من المشاكل السياسية جعلت منها منطقة توتر وصراع داخلي متمثل في التنافس على حكم المنطقة وصراع خارجي مع خصمها التقليدي المتمثل في المرينيين بالإضافة إلى الحملات الإسبانية.

ففي سنة 1535م أعد الإسبان حملة على تلمسان، وقد استغل الكونت التنافس بين أمراء بني زيان، وقد سميت هذه الحملة "بوقعة شعبة اللحم"[2]، حيث يذكر جاكيتون (Jacqueton) أن المعركة كانت شديدة وخلفت الكثير من القتلى بكلا الجانبين[3]. كما ذكر مارمول كربخال أن الكونت أعد جيشا قوامه تسعة آلاف راجل وأربعمائة فارس[4]، وكانت هذه الحملة موجهة ضد مولاي أحمد الذي تلقى الدعم من خير الدين بربروس، وأعاد مولاي عبد الله إلى عرشه[5].

وكنتيجة لهذه الحملة دخل الإسبان لتلمسان برفقة مولاي أبو عبد الله الملك اللاجئ في وهران والمتحالف معهم، كما هرب مولاي أحمد حليف الأتراك، وأقرت المصادر الإسبانية أن المحتلين حبوا المدينة من أقصاها إلى أقصاها وهم يقتلون ويأسرون كل من صادفوه فيها[6]. ومكث الكونت في المدينة أربعين يوما ثم عاد راجعا برفقة جنوده لوهران تاركا مولاي أبو عبد الله على رأس تلمسان.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 16

[2]– شعبة اللحم: قرية متواجدة حاليا في ولاية عين تموشنت في الجنوب الغربي من مدينة وهران

[3]–G. Jacqueton, l'Expédition d'A. Martin de Angulo contre Tlemcen, R.A, N° 36, p.149

[4]– مرمول كربخال، إفريقيا. تر: محمد حجي وأخرون، الرباط، دار نشر المعرفة، 1989م، ج 2، ص314

[5] –G. Jacqueton, Op.Cit, p.151

[6]– مرمول كربخال، المصدر السابق، ص314

نظم الإسبان حملة أخرى سنة 1543م ضد المدينة، وقد حصل الكونت على مـــدد جديد من مدينة قرطاجنة الإسبانية، الواقعة في الساحل الجنوبي من إسبانيا، حيث جمـــع الكونت دالكوديت نحو 11775 جنديا إضافة إلى 1425 من الفرسان حسب تقديرات بول روف[1].

وفي طريقه إلى تلمسان تلقى الدعم من حلفائه بني عامر، وكانـــت المفاوضـــات بينهم وبين بني عامر تتمحور على دعم الإسبان في حملتهم وتزويدهم بالمؤن اللازمـــة للحملة، يقول بول روف: "دخل ألنسو ابن الكونت في مفاوضات مـــع شـــيوخ القبائـــل العربية، من أولاد موسى وأولاد عبد الله من بني عامر، واتفقوا على أن يـــزود الشـــيخ غيرف قائد منطقة تسالة الحملة بالجمال والحيوانات مقابل المال وملابس النسيج"[2].

كما تعرضت وهران إلى نقص حاد في المواد التموينية خاصـــة الحبـــوب؛ لأن السلطان الزياني ألغي المعاهدة السابقة بين الإسبان وتلمسان، وقد أمر السلطان قائد قبيلة بني راشد المنصور بن بوغانم أن يكف عن تزويد الإسبان بالقمح والشـــعير[3]. وبإلغـــاء المعاهدة المبرمة بين تلمسان والإسبان كان سببا وجيها في تنظـــيم الكونـــت دالكوديـــت الحملة، وجاءت هذه الحملة بعد سنتين من كارثة مدينة الجزائـــر التـــي تعـــرض فيهـــا أسطول الملك الإسباني شارلكان للتدمير المحلي سنة 1541م، فأراد الكونـــت أن يعيـــد الاعتبار ويعلن الحرب على تلمسان حليف خير الدين بربروس[4].

---

[1] –P. Ruff, de la domination espagnole à Oran sous le gouvernement du Comte d'alcaudète (1534-1558), Ed, Bouchène, 1998, p.94.

[2] –Ibid, p.94.

[3]– عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص236

[4]– خير الدين بربروس: هو أخو عروج بربروس الذي قتل كما أسلفنا قرب تلمسان، وقد خلفه على رأس إمارتهم الناشئة في مدينة الجزائر، وذكر خير الدين بربروس في مذكراته أنه كان من جزيرة مدلكي، وقد أنجب أبوهم أربع أخوة أكبرهم إسحاق، ويأتي خير الدين ثالثا بعد إسحاق وعروج على التوالي. توفي حوالي 1546م الموافق 1953 عن عمر يناهز 63 عاما. أنظر: خير الدين بربروس: مذكرات خير الدين بربروس: تعريب محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010.

واصل الكونت دالكوديت وجيشه مسيرته إلى تلمسان لمعاقبة ملكها الذي امتنع عن دفع الضرائب السنوية، وقبل ذلك تعرض الملك الزياني إلى ضغط من حسن أغا خليفة خير الدين بربروس، الذي قاد حملة إلى تلمسان لتأديب الملك الزياني المتعاون مع الإسبان.

بذلك دخل الإسبان المدينة؛ حيث ذكر محمد بن يوسف الزياني أنهم مكثوا في المدينة بعد دخولها عنوة ثلاثة عشر يوما، انتهكوا حرمة الجامع الأعظم بأن جعلوه إسطبلا لدوابهم، وهذا ما أكده بول روف بقوله: "في صباح يوم الثلاثاء من السادس فيفري عام 1543م دخل الكونت مدينة تلمسان فوجد المدينة خالية من سكانها، وأمر جنوده بأن يجمعوا القمح، والشعير، والزيت... الخ"[1]، وذكر أيضا أن الجنود الإسبان تحبوا المدينة وقتلوا كل من وجدوه فيها حتى أصبحت خرابا[2]، وهذا ما أكده مرمول كربخال عن هول المشهد في المدينة بقوله: "دخلوا المدينة فنهبوها من أقصاها إلى أقصاها، وهم يأسرون كل من صادفوه فيها"[3].

إلا أن الإسبان لم ينعموا بمكوثهم في المدينة؛ بل واجهوا مقاومة عنيدة من سكانها رغم خروجهم لمقارعة أعدائهم وطردهم، وفي 26 من شهر فيفري طلب الكونت من الملك الزياني عقد معاهدة تنص على دفع ضريبة سنوية تقدر بـ4000 آلاف دوبلا والتبرع بمجموعة من الخيول الملحمة والصقور[4].

بقيت الأمور في مملكة تلمسان في حالة اللاأمن، فقد بقي الصراع على العرش بين الأمراء كما كان من قبل؛ حيث كان الصراع الإسباني العثماني في أوجه قام السعديون بالدخول من المغرب الأقصى في خط الصراع منذ سنة 1547م[5]. وأصبحت

---

[1] –P. Ruff, Op.Cit, p.90

[2] –Ibid, P 107.

[3]– مرمول كربخال، المصدر السابق، ص 314.

[4] – P. Ruff, Op.Cit, p 109.

[5] –Ibid, P 109.

مملكة بني زيان في مشكلة كبيرة؛ فأصبح الأمر حتمي لإسقاط المملكة ووضع حامية تركية في المدينة من جنود الأتراك، وإلحاق تلمسان بالإدارة التركية العثمانية بالجزائر وهذا كله كان بسبب أطماع السلطان الشريف محمد المهدي مؤسس دولة السعديين باحتلال المدينة وإلحاقها بمملكته[1].

بعد وضع الحامية التركية في مدينة تلمسان سنة 1551م عمل صالح رايس خليفة حسن بن خير الدين على القضاء النهائي على الدولة الزيانية، وبالفعل أنحى الحكم الزياني على تلمسان سنة 1554م، وفر آخر سلاطين بني زيان إلى وهران، يقول بول روف عنه: "بعد دخول المغاربة لتلمسان دون مقاومة تذكر، فر الملك الزياني مولاي الحسن إلى وهران، وبعد بضع سنين مات بالطاعون الذي ضرب المدينة، وأن وابنه وولي عهده اعتنق المسيحية وسمي بكارلوس، وانتقل إلى إسبانيا واستقبله الملك الإسباني فليب الثاني". والراجح أن مولاي الحسن مات بالطاعون الذي ضرب مدينة وهران سنة 1556م.[2]

وبذلك انتهى حكم بني عبد الواد والذي دام نحو ثلاثة قرون (1235م-1554م)، وانتهى حكما محليا لدولة حملت في طياتها بذور السقوط لما عاشته من صراع بين أفراد الأسرة الحاكمة وتمرد القبائل والتدخل الخارجي الذي انتهى في القرن السادس عشر على أيدي الأتراك العثمانيين والإسبان.

---

[1]- أحمد التوفيق المدني، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين،... مرجع السابق، ص 44

[2]- محمد دادة، تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م، عصور الجديد، المرجع السابق، ص 198.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

شهدت مدينة تلمسان عهد الدولة الزيانية تحولات كبرى مست جميع نواحي الحياة وبرزت شخصية المدينة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية كعاصمة للدولة الزيانية في المغرب الأوسط.

من خلال هذا الفصل المبحث سنتناول الأوضاع الاجتماعية من تركيبة عناصر المجتمع التلمساني واستنتاج أهم عوامل الازدهار الاقتصادي بها.

أولا: الأوضاع الاقتصادية

ولم تقتصر أهمية مدينة تلمسان على الجانب السياسي أو العلمي فحسب، وإنما كانت تلمسان تحتل أهمية اقتصادية كبيرة في منطقة المغرب الأوسط خاصة، والمغرب الإسلامي عامة. إذا يعتبر الاقتصاد عصب الحياة لأي مجتمع، وعامل أساسي لاستمراريته وتطوره ورقيه، لأنه يمثل تحديا يوميا للإنسان، وهو يشمل في تدبير سبل العيش وإنماء الثروة بكل أنواع الكسب والاحتراف مهما تعددت الألوان واختلفت المظاهر من جميع أنواع المهن والصناعات، وما تقتضيه المعاملات التجارية بين الناس من تباين المتاجر والأسواق، والدافع في ذلك هو رد الإعسار وجلب الرفاهية[1].

وتبرز الأهمية الاقتصادية لمدينة تلمسان تحديدا في الجانب التجاري، حيث كتب الحميري معلقا على ذلك فيقول: "قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأقصى من واد يسمى المجمع وهو نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وبلاد المغرب في الطول والعرض من البحر الذي على ساحله مدينة وهران ومليلة

[1]– الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر. بيروت، دار مكتبة الحياة، ط2، 1965، ج 2، ص 231.

وغيرهما إلى مدينة سول، وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة واركلان (اورجلان) وغيرهما من بلاد الصحراء"[1].

وهذا الموقع جعل من تلمسان سوقا تجاريا كبيرا حسب قول جورج مارسيه (Goerges Marcais)، حيث يقول: "كان الطريق شمال –جنوب دائم الارتياد لأن المواد الثمينة لبلاد السودان كانت تغذي الأسواق الواقعة عليه، خصوصا الذهب والعبيد وكذلك المصنوعات التي تأتي من أوروبا، عن طريق موانئ وهران وهنين... إنه يكفي يومان من الإبحار للوصول من هنين إلى الحرية الإسبانية التي تصنع الأقمشة الحريرية والخزف"[2].

كما أن وقوع تلمسان عند ملتقى المسالك التجارية من شرقها لغربها ومن شمالها لجنوبها، هو ما دفع بمارمول كاربخال للتأكيد على أهميتها الاقتصادية، حين قال: "إن مدينة تلمسان أصبحت في عهد أبي تاشفين من العظمة بمكان، حتى كانت تضم ستة عشر ألف دار مسكونة وتقام فيها أغنى تجارة إفريقيا"[3].

عرفت تلمسان أيضا إلى جانب التميز الاقتصادي كذلك بغناها الفلاحي[4]، والذي كان يعتبر مصدر إكتفائها الذاتي وجودة منتجاتها الفلاحية، وفي هذا الشأن أشار الحسن الوزان إلى سهل تسالة القريب من تلمسان الذي اعتبره من أخصب أراضي المغرب الأوسط، وعد مردوده الإنتاجي على مستوى عال، فكتب قائلا: "سهل كبير يمتد على

[1]– حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية. الجزائر، منشورات الحضارة، 2009، ج 2، ص 11.

[2]– مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991، ص 329.

[3]– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 302.

[4]– أم بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص 50–60.

مسافة نحو عشرين ميلا، وينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب، يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب"[1].

فالمملكة الزيانية كانت فلاحية بطبيعة أرضها وتجارية بطبيعة موقعها، صناعية بطبيعة سكانها، إلا أن الفلاحة بهذه المملكة كانت من أهم منابع الثروة وفلاحة القمح بالدرجة الأولى ويليها غراسة الزيتون، وكان من أنواع الفلاحة القطن وقصب السكر وسائر الحبوب والثمار والفواكه والبقول، فقد كانت لها مراسي كثيرة عن البكري بتعدادها ووصفها وذكر ما يناسبها من مراسي الأندلس[2]، حيث اعتمد معظم السكان داخل المدينة والمنطقة في تحصيل معاشهم، على العمل في المجالات التالية:

- الزراعة:

تمزيت الزراعة بالنشاط داخل تلمسان وبقية المناطق التابعة لها نتيجة للعوامل التالية:

* وجود السهول غرب وشمال تلمسان منها سهل متيجة، وسهل وادي الشلف وسهل منيعة.

* توفير مياه الأنهار والينابيع الصالحة للري مثل وادي متشكانة.

* اشتغال عدد كبير من مدن تلمسان والدولة الزيانية بهذه الحرفة.

كما تميزت تلمسان بوفرة الأراضي السهلية من الناحية الغربية والشمالية، حيث وصف المؤرخون الزراعة في تلمسان بقولهم "وما جاورها من مزارع كلها مسقي وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة"، ولهذا أطلق عليها اسم بوماريا أي البستان، ،

---

[1]- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا. تر: مجد حجي ومحمد الأخضري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ج 2، ص 25.

[2]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، د ط، تق وتص: محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت، ج2، ص483

حيث تنوعت المنتوجات الزراعية في تلمسان منها: الحبوب كالقمح، الشعير، الذرة، الخضروات، الفول، الخس، اللفت، الخيار، الخوخ، الرمان، كما كانت تلمسان تحصل على كمية الزرع من خلال أخذها العشر على المزروعات وأهمها القمح والشعير، فمثلا كان السلطان أبو حمو الأول يحصل على عشر الإنتاج في المناطق الشرقية ويرسله إلى أحد الحصون القريبة من تلمسان، إلا أنه يلاحظ أن الزراعة في تلمسان تأثرت بالحالة السياسية التي عرفتها المدينة حيث كانت المزروعات تتعرض للدمار والسلب والنهب من قبل المهاجمين[1].

- الصناعة:

عرف النشاط الصناعي أواخر الدولة الزيانية ازدهارا كبيرا نتيجة للهجرة الأندلسية إلى مدن الدولة، ولكن هذا لا يجعلنا نقلل من دور سكان الدولة الزيانية، لأن الخبرة الصناعية في العهد الزياني وبالخصوص مرحلتها الأخيرة لم تعد تقتصر على الأندلس فقط، بل برز عدد من أهل البلاد في مختلف الصنائع، حيث عرفت تلمسان صناعة المنتوجات واشتهرت بها، بالإضافة إلى صناعة الأواني المختلفة، وكذا طقوم الخيل الفاخرة، إلا أن الحروب التي عرفتها الدولة الزيانية في مرحلتها الأخيرة أثرت على تحركاتهم لانعدام الأمن من جهة، ومن بين الذين كانوا يصنعون الفحم سكان جبل ورنيد جنوب تلمسان[2].

- التجارة:

كانت الحركة التجارية في الدولة الزيانية مرتبطة أساسا بوضعية الأسواق وتنظيماتها في هذا العهد، حيث تمثل الأسواق مركزا للنشاط التجاري، أي أن لكل سوق

---

[1]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633هـ-962هـ/15551235م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 2002م، ص 176

[2]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية-الأحوال الاقتصادية والثقافية-ط، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص ص 89-87

وقت محدد لانعقاده ونوع معين من السلع التي يختص بها، حيث تشير بعض الدراسات إلى عدد من الأسواق الأسبوعية والموسمية في البوادي والمدن كسوق سيدي بوجمعة الذي يعقد كل يوم الأربعاء بمدينة تلمسان وسوق بني راشد الذي يعقد كل يوم الخميس، ويباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل، وكثير من المنتوجات وأشياء أخرى أقل قيمة كالحبال والسروج والأعنة وحاجيات الخيل.

كما تشير بعض الأبحاث إلى رواج بعض الأسواق المتخصصة في بيع العبيد السود في مدينة تلمسان لفئة التجار الأجانب، بالإضافة إلى عدد آخر من الأسواق الحرفية مثل: سوق الخرازين وسوق النحاسين، وسوق العطارين، وسوق الغزل والنسيج ويتحكم في إدارة هذه الأسواق وتسييرها فئات التجار على اختلاف أصنافهم ورؤوس أموالهم[1].

ومما سبق يمكننا القول أن موقع تلمسان ووجود السهول والأنهار ساعد على النشاط الاقتصادي خصوصا الزراعة، ودون أن ننسى نشاط الصناعة خاصة، وبذلك اتسعت الأسواق بالمدينة لتصبح هذه الأخيرة أي تلمسان–مدينة ذات اقتصاد متنوع.

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية

1- فئات المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني:

يتميز المجتمع التلمساني كغيره من المجتمع الجزائري ككل بالتنوع في تركيبته السكانية نتيجة الظروف التاريخية التي مرت بها الجزائر والتي عرفت توافد هجرات بشرية بعضها غازيا وبعضها فاتحا، إضافة إلى فئات أخرى نزحت من الأندلس أو قدمت من الصحراء الكبرى، ومن بين هذه الفئات نذكر:

[1]- فؤاد طوهارة، المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العهد الزياني (7هـ–وهـ/15–13م)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 16حزيران، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة–الجزائر، 2014م، ص87

-البربر:

يشكل البربر الجزء الأكبر للمجتمع الزياني فيما يعرف بقبيلة زناتة، التي استوطنت المغرب الأوسط منذ العصور القديمة، حيث كان لها تأثير في الحياة الاجتماعية والسياسية إذ يقول ابن خلدون في ذلك: "فاعلم أن جيل زناتة في المغرب جيل قديم معروف العين والأثر ... والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى انه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة"[1].

ومن الفرق الزناتية التي سكنت تلمسان وضواحيها يذكر ابن خلدون: "ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل: مغراوة وبني يفرن، وجداوة، وبني يرنيان ووجديجن وواسين وبني مرين وتوجين وبني عبد الواد وبني راشد وكل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس إلى جبل الأوراس والزاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى واد ملوية، وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الإسلام..".[2]

-العرب:

كان لدخول البربر بلاد المغرب منذ بداية الفتح وظهور الدولة الزيانية، كان العنصر العربي منتشرا في محيط تلمسان، وقد أكدت المصادر انتشار العرب حول تلمسان وبداخلها فقالت "تعمرها أمشاج العرب والبربر"[3] وينقسم العرب الذين سكنوا المدينة ومحيطها إلى: العرب القادمين من الجزيرة العربية: عرفوا باسم البلديين، أو العرب الأفارقة، أيضا العرب الشاميين الذين انتقلوا إلى المغرب مع كلثوم بن عياض

---

[1]- محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا-د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص 187.

[2]- فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 55

[3]- عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، دط، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص17

سنة (122ه-740م)، تحت راية الجيش الأموي القادم من الشرق لإخضاع البربر المتمردين[1].

2. القبائل الهلالية:

كان اقترابهم من تلمسان خلال منتصف القرن الخامس هجري، حيث امتزجوا مع سكان تلمسان على العهد الموحدي، وذلك من خلال إسكان عبد المؤمن لبعض البطون العربية داخل المدينة عندما كانت تعمل بالجيش الموحدي، باعتبارها إحدى مراكز الدولة الموحدية، وبذلك اختلط العرب الهلاليين مع البربر بفترة مبكرة من قيام الدولة الزيانية، ومن أهم زعمائهم بداخل تلمسان عياد بن عياد وبني عساكر من قبيلة رياح الذين دخلوا المدينة سنة (666هـ-763هـ/1268م/1362م) [2].

-الأتراك:

تمثل هذه الفئة بعض العناصر المسلمة القادمة من الشرق وهم الأتراك أو الغز، فكانت بداية قدومهم إلى المغرب بحدود سنة (534ه-1139م) عن طريق مصر، ويعود تقدم الغز نحو بلاد المغرب إلى نجاح ثورات شاه بن أيوب في فتح اليمن سنة (569هـ-1173م)، حيث شاركوا في الدفاع عن المدينة مع الموحدين ضد ثورة ابن الغانية، فاستقر جزء منهم في المدينة واختلطوا مع السكان، وبعد قيام الدولة الزيانية استخدمهم يغمراسن في جيشه، وأكد بعض المؤرخين وجود الغز داخل تلمسان ودخولهم الجيش واستخدموا في الجيش لأجل براعتهم في الرماية والقوس والنشاب والرمح.[3]

---

[1]- فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 56.

[2]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 147-148

[3]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 150

-الأندلسيون:

يمثل الأندلسيون الوافدين الجدد على المغرب الأوسط، حيث ساهموا بقدر كبير في إثراء البنية الاجتماعية،[1] وكان ترددهم على المغرب الأوسط منذ القرن (7هـ-13م)، وتواجدوا بكثافة في المجتمع الزياني في نهاية القرن الثامن وطيلة القرن التاسع الهجري، ولقد كان أصحاب هذه الفئة ذوو مال وصنائع، فتفوقوا في الإسهام في العلوم بصفة عامة والفنون والآداب بصفة خاصة[2]، ومن الأسر التي اشتهرت بأدوارها في إدارة شؤون البلاد بنو الملاح القرطبيون الذين نزلوا تلمسان[3].

اتخذهم السلطان أبو حمو موسى الأول (708هـ-718/1308هـ-1318م) الأندلسيون كأمناء على بيت المال، وأسند لهم مناصب سلطانية كوزارة المال والحجابة وذلك لما يتمتعون به من خبرة فبرز منهم عدد من الوزراء منهم: محمد بن ميمون بن ملاح، وإبراهيم بن محمد بن ميمون، إلى جانب المراتب الإدارية والمناصب السلطانية التي تعكس مكانتهم لدى الأسرة الحاكمة[4].

-اليهود:

كان الوجود اليهودي ببلاد المغرب منذ العهد القديم، ولما فتح المسلمون بلاد المغرب وجدو جاليات يهودية تقطن مناطق ومدن مختلفة من بلاد المغرب، استقرت طائفة منهم في العاصمة الزيانية، بعد الضغط الذي تعرضوا إليه من قبل القشتاليين سنة (794هـ-1391م) وتضاعف عددهم خلال سقوط غرناطة (1492م)، وكان من بينهم

---

[1] -Saida Benchikh-Boulanouar: L'Algerie, par ses Archives. casabah éditions, Alger, 2015, p135.

[2] -Ibid p135.

[3]- فؤاد طوهارة: المرجع السابق، ص 60

[4] -Saida Benchikh-Boulanouar: op.cit, p135

علماء وأطباء مثل الطبيب موشي بن صمويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي المعروف بابن الأشقر الذي ذاع صيته كطبيب وأستاذ للطب بمدينة تلمسان[1].

إلا أن هناك العديد من الحرفيين والتجار هاجروا إلى تلمسان وعملوا على تنمية الصناعة المحلية وتدعيمها وتنمية الحركة التجارية بها وتطويرها، حيث كانوا يقطنون داخل أحياء مغلقة، بعيدين عن المسلمين وخارج أسوار المدينة قبل نهاية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وكانت للطائفة اليهودية بتلمسان مقبرتها الخاصة بها وكذلك لها رئيس يدير شؤونها يدعى شيخ اليهود، ويكون همزة وصل بينهما وبين السلطات التلمسانية الرسمية والطائفية، فكان لهم حارة بالمدينة تسمى بحارة اليهود وهي تضم حوالي 500 دار يسكنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء[2].

2- اللغة:

كان لسكان تلمسان بمختلف فئاتهم وانتماءاتهم العرقية يستعملون لغتهم ولهجتهم الخاصة بهم، وذلك على نطاق ضيق، فاللغة المتداولة والمستعملة بصفة رسمية في المجتمع التلمساني هي اللغة العربية، وإلى جانبها اللسان الزناتي، لأن أغلب سكان المدينة كانوا من الزناتة ومن العرب[3].

حيث وحد الدين الإسلامي أهل تلمسان، وجعل منهم مجتمعا موحدا في العادات والتقاليد والسلوك، يتحدث أغلبهم اللغة العربية لأنها لسان الملة وبها نزل القرآن الكريم، وقد احتضن أهل تلمسان كغيرهم من سكان الحواضر المغربية اللغة العربية، فهم

---

[1]- فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 60

[2]- عبد العزيز فلالي، تلمسان في العهد الزياني -دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، د ط، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2002، ص 193

[3]- عبد العزيز فلالي، المرجع السابق، ص195

يعتبرونها جزأ لا يتجزأ من الإسلام وهي إحدى ركائزه، فتمسكوا بها لعنايتهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المصدرين الأساسيين في التشريع الإسلامي[1].

3-عادات وتقاليد المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني:

كان لأهل تلمسان وسكان المغرب الأوسط في العهد الزياني عادات وتقاليد يتميزون بها كالاحتفال بالأعياد الدينية مثلهم مثل باقي المجتمعات الإسلامية، ويذكر الونشريسي أن الاحتفال بالمولد النبوي كان يلقى اهتماما كبيرا من قبل ولاة الأمر وسائر طبقات المجتمع، حيث اعتاد الناس على إيقاد الشموع، وركوب الدواب لإظهار الفرح والسرور بمولده عليه السلام. كما ورد في إحدى الدراسات بأن أهل تلمسان اهتموا أيضا بميلاد أطفالهم، فكانوا يعدون العقيقة، وهي وليمة يذبح فيها الخرفان، وكذلك كانوا يحتفلون بختان الأطفال، فيقيمون بهذه المناسبات وليمة للأهل والأقارب[2].

في حين يذكر الوزان عن العادات المتبعة في الأفراح كانت النساء تقوم بالصياح والولاويل وتلطم الوجوه والأطراف إذا مات لهم قريب، حيث يقول: "في أخر بيت تصيح النساء ويخدشن صدورهن حتى يسيل منهم الدماء بغزارة وينتفن شعورهن نائحات مولولات يدوم ذلك سبعة أيام، تلك هي عادة العامة..."، وبعد مرور سبعة أيام على الوفاة يقوم أهل الميت بتلاوة القرآن الكريم على القبر ويستأجر أحدا لتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم، وبعد ذلك يقومون بتقديم الطعام للفقراء والأقارب للترحم على الميت ويسمى هذا عشاء القبر للميت[3].

كما اهتم أهل تلمسان بمظهر اللبس والمأكل، بحيث كانوا يلبسون أحسن الثياب في مختلف فصول السنة، ويفضلون لبس اللون الأبيض والثياب الخفيفة في فصل الصيف، ويعتنون بهيئتهم وهندامهم، حتى الفقهاء والصالحين والعلماء كانوا يرتدون

---

[1]- المرجع نفسه، ص 196.

[2]- فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 72

[3]- فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 73

اللباس الملائم وكذلك الأحارم التونسية المستورة والمشهورة وتخضع درجة أناقتهم لحالتهم الاجتماعية والمادية والثقافية لكل أسرة في تلمسان. فقد تميز سكان المدن بصفة خاصة بالألبسة الأنيقة، بينما يلبس أهل البدو ألبسة بسيطة من الكتان والصوف، حيث خضعت نوعية المعيشة لدى أهل تلمسان كغيرها من سكان الحواضر الإسلامية إلى مستواها الاجتماعي والمادي لدى كل أسرة، فإذا كانت الطبقة العامة من الناس تتميز بالبساطة فان الطبقة الخاصة كانت تتأنق في الأكل والشرب، وكان التلمسانيون يأكلون على الموائد وبالملاعق وكانوا يستعملون القصع والبرم وأواني أخرى، وكانت المرأة تصنع الخبز من العجين وتطحنه في منزلها، ويؤخذ إلى فرن الحي، إضافة إلى ما يسمى بالسفنج أو ما يعرف بالفطير المقلي في الزيت، ويجلس أهل تلمسان على مائدة الأكل ثلاث مرات في اليوم[1].

ومجمل القول فإن المجتمع التلمساني هو خليط كباقي المجتمع الجزائري من السكان الأصليين، إضافة إلى عناصر وافدة إليه من أندلسيين وأتراك ويهود، حيث عرف العديد من العادات والتقاليد المختلفة.

[1]– عبد العزيز فلالي، المرجع السابق، ص 266–256.

الفصل الثاني:

جهود العثمانيين في الدخول إلى تلمسان

المبحث الأول: جهود الإخوة بربروس.

أولا: ظروف تواجد الإخوة بربروس بتلمسان

ثانيا: تدخل الأخوة بربروس.

ثالثا: سيطرة الإخوة بربروس على تلمسان وضمها للدولة العثمانية:

المبحث الثاني: صالح رايس ينجح في إلحاق تلمسان بالحكم العثماني

المبحث الأول: جهود الإخوة بربروس.

أولا: ظروف تواجد الإخوة بربروس بتلمسان

تعتبر بداية القرن السادس عشر الميلادي الموافق للقرن العاشر الهجري نقطة تحول تاريخي، فقد أصبحت إسبانيا موحدة بفضل زواج فريدناند مع إيزابيلا، التي أوصت قبل موتها سنة 911ه - 1505م باحتلال سواحل شمال إفريقيا، لتكون بلادها في مأمن عن خطر مسلمي هذه المنطقة، والذين فروا من ضغط نصارى الأندلس، وبدأت إسبانيا بذلك في سياستها التوسعية الاستعمارية، ذات الطابع الصليبي.

لقد نفذ الإسبان وصية ملكتهم المتوفاة، واحتلوا مناطق عدة في شمال إفريقيا، مثل: سبتة، وهران، بجاية...، في الوقت الذي كانت دويلات هذه المنطقة (الحفصية، الزيانية، المرينية) غارقة في مشاكلها الداخلية، حيث تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية، بسبب التنافس على كرسي الحكم في الدولة الواحدة من جهة، والتناحر بينها من جهة أخرى، مما أدى إلى غياب دولة قوية ذات سيادة على كامل ترابها، تدافع عن نفسها، وتصون أرضها من أي اعتداء خارجي، قد يهدد كيانها.

وفي نفس الوقت عرف العالم الإسلامي في هذا القرن ظهور قوة جديدة متمثلة في الدولة العثمانية، التي استطاعت أن تفتح القسطنطينية في سنة 857هـ- 1453م على يد السلطان محمد الفاتح. وبهذا الفتح قضي العثمانيون على الإمبراطورية البيزنطية، التي شكلت خطرا على المشرق الإسلامي، ثم بدأت هذه الدولة في التوسع إلى أن وصلت مصر سنة 923هـ- 1517م بقيادة السلطان سليم الأول[1]، الذي استطاع أن ينتصر على دولة المماليك، ويرث الخلافة الإسلامية لتصبح الدولة العثمانية تقود العالم الإسلامي كله،

[1]- من السلاطين الأقوياء في الدولة العلية حكم ما بين 1512-1520م، ولد سنة 885هـ بأماسيا وجلس على العرش سنة 918هـ وعمره 46 سنة في حياة أبيه، كان مشهورا في شبابه بالشجاعة وحب الحرب، لذا كان محبوبا لدى الجيش، اشتهر بحروبه ضد الفرس، في عهده سيطر على الشام ومصر، وانضمت الجزائر للدولة العلية، إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص 79-80.

جامعة بين القوة العسكرية والسياسية وبين القوة الروحية، "...واكتسب السلطان العثماني بسبب ذلك دور القائد الروحي والعسكري والحاكم السياسي..." الشرعي للعالم الإسلامي[1].

في الظرف ذاته كانت الجهة الغربية للعالم الإسلامي منقسمة إلى ثلاث دول: الحفصية في المغرب الأدنى، التي انفصلت عن الدولة الموحدية سنة 1236م، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط، التي استقلت بالحكم في الفترة نفسها، والمرينية بالمغرب الأقصى،التي وصلت إلى الحكم في سنة 1248م. في الوقت الذي كان فيه المد النصراني لم يصل بعد إلى غرناطة.

وكانت كل دولة من هذه الدول تحاول التوسع على حساب جيرانها، فكان التناحر والتقاتل بينها، مما نتج عن هذا الوضع الاستنزاف المتبادل للقوة الاقتصادية والعسكرية، والضعف الكبير في الجهاز المركزي لهذه الدول، وأدى أيضا إلى تنافس أبناء الأسرة الحاكمة في الدولة الواحدة على السلطة والحكم. كل ذلك نتج عنه تردي الأوضاع وتدهورها، وبدأت سلطة هذه الدول تنحصر فقط في عواصمها، أو بعض المدن التي كانت تحيط بها، حيث انفصلت مجموعات قبلية وبعض المدن عن الحكومات المركزية، فقد تحولت هذه المدن إلى ما يشبه جمهوريات صغيرة، كما هو الحال بالنسبة إلى طرابلس، جربة ، بجاية، جزائر بني مزغنة، تقرت، تيطوان وسلا على سبيل المثال[2].

تلك هي صورة العالم الإسلامي في شمال إفريقية. أما في جنوب أوربا، فقد استطاع الإسبان أن يكونوا قوة ضد المسلمين، خاصة بعد اتحاد مملكتي أراغون وقشتالة، إثر

---

[1]– نعيمة بوحمشوش، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، رسالة ماجستير، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998/1999م، ص10

[2]– عبدالرحمن على الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (711م–1493م)، دار القلم، دمشق، ط05، 1997م، ص 550.

الزواج السياسي بين الملك فرديناند الكاثوليكي والملكة إليزابيث"، اللذين حددا هدفهما الرئيس في طرد ما تبقى من مسلمي الأندلس، في إطار ما يسمى بحروب الاسترداد[1].

واستطاع الإسبان أن يزحفوا على ما بقي للمسلمين بالأندلس، بعد سقوط غرناطة آخر معقل لهم فيها سنة 898هـ- 1492م[2]، وتبع هذا حملة واسعة للتنصير بالقوة فأرغموا المسلمين على ترك دينهم وإلا القتل أو التهجير، فظهرت ما يسمى بمحاكم التفتيش، وكان دورها محاكمة كل من شك فيه أنه مازال قابضا على دينه، أما المسلمون الذين لم يبدلوا دينهم، فلم يبق لهم إلا الهجرة إلى شمال إفريقيا، هروبا من الاضطهاد المسلط عليهم[3].

ولم تقف إسبانيا عند طرد المسلمين فقط، بل تعدى ذلك إلى ملاحقتهم في الضفة المقابلة من البحر المتوسط في إطار عملية الاسترداد ذات الطابع الصليبي، حيث أن الكنيسة قد باركت انتصار الإسبان على المسلمين في غرناطة[4].

لقد رأى الإسبان أن يواصلوا زحفهم على سواحل المغرب العربي بروح صليبية بحتة، بحجة أن تأمين بلادهم من خطر المسلمين يكمن في احتلال هذه السواحل، واتفقت إسبانيا مع البرتغال على خطة لتقسيم المغرب الإسلامي من خلال معاهدة توردسپاس في سنة 873هـ-1469م، فكانت مليلة أول ما احتله الإسبان بالمغرب سنة 874ه-1497م، ثم توجهت أنظارها إلى السواحل الجزائرية، فاحتلت المرسى الكبير سنة 911ه- 1505م، ثم وهران سنة 915ه-1509م، وبجاية سنة 916ه-1510م. كما تم ضم مدينة الجزائر

---

[1]- ج. وولف، الجزائر وأوروبا، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 26

[2]- احمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وتنكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج05، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1998م، ص407

[3]- لوبي كارديك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، تعريب: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية والديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، تونس، 1983، ص 111.

[4]- نصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص48.

للمحتل الإسباني في يوم 31 جانفي 1510م، والمصير نفسه لاقته مدينة مستغانم، خوفا أن يتعرض سكانها إلى التقتيل والتعذيب والتنكيل.

وفي هذه الظروف الصعبة التي انعدم فيها وجود دولة قوية، تدافع عن نفسها، وعن شعب موحد متماسك يضحي من أجل بلاده، ظهر في المغرب الإسلامي رجلان ذاع صيتهما آنذاك، وهما الأخوان عروج وخير الدين بربروس العثمانيان، اللذان اشتهرا بالشجاعة والقوة[1]، فاستغل سكان: بجاية، وجيجل، ومدينة الجزائر، وتلمسان، وجودهما بتونس للاتصال بهما، والاستنجاد بهما في تخليص بلادهم من بلاء الإسبان[2].

ثانيا: تدخل الأخوة بربروس.

إذا كانت إسبانيا قد قامت بدور لا يستهان به في تقلص نفوذ الدولة الزيانية باحتلال أهم مدنها الساحلية، فإن الأخوين عروج وخير الدين قاما بالدور نفسه ولذا فالأسئلة التي يمكن طرحها في موضوع العلاقة بين الدولة الجزائرية وبين الدولة الزيانية وأن الأولى نشأت على بعض أجزاء الدولة الزيانية.

فماهي أهداف الأخوين في هذا التوسع نحو الجهة الغربية من مدينة الجزائر؟ وهل الزيانيون هم الذين أصبحوا يشكلون خطرا على هذه الدولة؟.

أما طموح عروج وخير الدين في إقامة دولة قوية يمكنها مواجهة الخطر الإسباني لا تتم إلا بالقضاء على هذا التشتت الذي سهل مهمة الإسبان في السيطرة على موانئ الدولة الزيانية، وقبل التطرق إلى هذه النقطة يجب علينا التعرض لأسباب دخول الأخوين عروج وخير الدين لمدينة الجزائر سنة1516م[3].

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998، ص 11

[2]– جلال يحي، العالم العربي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1998، ج 01، ص 37.

[3]– مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية –ج1– الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص130.

إن الأخوين عروج وخير الدين لم يأتيا للجهة الغربية كغزاة كما تصفهم الدراسات الغربية، بل وجودهم كان رغبة في الجهاد ورحمة للضعفاء من المسلمين وهو ما يؤكده أيضا الجامعي في نص آخر بقوله (رغبة في جهاد الكافرين ورحمة بضعفاء من المسلمين) لذا فالمعركة هي معركة توحيد البلاد من جهة ومحاربة الإسبان ومن اسنجد بهم من جهة أخرى وهو ما يوضحه نفس المؤلف بقوله: «كانت للأتراك يدان إحداهما تمهد التلول والإنجاد من بغاة البربر والعرب والأخرى تدفع الكفر عن أهل الإيمان، بينما تظاهر عليهم المشركون وبنو زيان[1].

إن هدف عروج وخير الدين من سيطرتهما على الجزائر هو القضاء على التفرقة التي عرفتها بلاد المغرب الأوسط هذا فيما يتعلق بالدوافع، أما التوسع على حساب دولة بني زيان فقد بدأ مع سنة 1517م بتوجه خير الدين نحو تنس وعروج إلى تلمسان.فأمراء بني زيان وبعض حلفائهم قدموا مساعداتهم للإسبان خلال الهجوم الأول على مدينة الجزائر 1516م بقيادة دياغو ديفيرا، والذي فالتوجه نحو الغرب سببه الرئيسي هو القضاء على هذا التحالف وهو ما أكده ابن زرفة بقوله: «تظاهر على عروج وخير الدين المشركون والإسبان» أما أحمد بن سحنون الراشدي فيقول: « أن مولاي أبا عبد الله سلطان تلمسان عاد إلى أحد قرابته فانتزع ملكه من يده، لم ير من الرأي إلا أن يقصد حضرة الجزائر فقدم إليها واتصل بعروج مستنصرا به فقدم لنصرته"[2].

وعندما وقع تقسيم المملكة الجزائرية بين الأخوين عروج وخير الدين فإن تلمسان أصبحت تحت إشراف عروج مباشرة.

---

[1]– الجامعي، فتح وهران (شرح لأرجوزة الحفناوي)، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 2521، ص 20.

[2]– مختار حساني، المرجع السابق، ص 132.

ثالثا: سيطرة الإخوة بربروس على تلمسان وضمها للدولة العثمانية:

أما فيما يتعلق بدوافع حملة عروج على تلمسان نجد روايات متضاربة فالرحالة الإسباني مرمول الذي كان قريبا من الأحداث، ذكر بأن عروج كان يعرف نوايا أهل تلمسان، فكتب لهم قائلا: «إنه يستغرب من كونهم مسلمين خاضعين للأمير أبي حمو موسى الثالث التابع للمسيحيين، يغلبهم ببسط استبداده، ويرفض إرجاع الحرية للأمير الشرعي أبي زيان وإعادة تنصيبه على العرش»[1].

فمن خلال ما ذكره مرمول كربخال أن عروج الذي استقر بالجزائر كان له أتباع يطلعونه على أحوال الدولة الزيانية من خلال المعلومات التي كانت تأتيه عن طريق عيونه، الذين كانوا مندسين داخل المجتمع التلمساني ويبدو لي أن أغلبيتهم من أفراد الجالية الأندلسية الذين نددوا بسياسة أبي حمو اتجاه الدولة الإسبانية، التي أساءت إليهم ولى المقدسات الإسلامية، فتعاونه مع هؤلاء الإسبان يعتبر ضربة قاضية للإسلام والمسلمين، لهذا كتب عروج لأهل تلمسان قائلا لهم «أنه يستغرب من كونهم مسلمين خاضعين لأمير تابع للمسيحيين»[2]. حيث أن هذا السلطان لم يصل إلى السلطة بطريقة شرعية بل كان نتيجة المؤامرات دبرت ضد الأمير الشرعي أبو زيان الذي ألقي به في غياهب السجن.

وعندما اجتاز قلعة بني راشد ترك بها قوة تحت قيادة الأخوين علي إسكندر وإسحاق لكي يحافظ على خط الرجعة، "أما أبو حمو موسى الثالث، فإنه عندما وصلت معلومات تتعلق باقتراب عروج من تلمسان، اتصل بحلفائه من القبائل العربية والبربرية، وخرج بقوته إلى سهل أغبال، برسم قطع خط عروج المتوجه إلى السهل المذكور، فهجم

[1]– مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص307

[2]– مؤلف مجهول، فتح خير الدين لتونس مختصر من غزوات عروج، المكتبة الوطنية، رقم 1618، الجزائر، ص 14.

عليه عروج وهزمه شر هزيمة".كما أن القوة الزيانية التي واجهت عروج اتفقت أغلب المصادر على كثرتها، لكنها لم تقفها على الرغم من قلة عدد القوة التابعة لعروج[1].

إن جواسيس الإسبان الذين كانوا بداخل تلمسان، على علم بهذه الأحداث وهو ما تؤكده إحدى الرسائل التي أرسلت إلى حاكم وهران، من قبل أنطونيو الذي ذكر له بأن أمير تلمسان أبي حمو موسى الثالث مع القائد أحمد العربي مازالوا في قلعة بني راشد[2].

كما أن عروج لم يسمح للسكان بالخروج من تلمسان، حتى لا يمكن لأتباعهم تزويدهم بالمعلومات، وقد قتل كل أمراء الدولة وسمح ببقاء المهاجرين الأندلسيين كما يذكر أن أبا حمو قد أرسل إلى مستغانم القائد سيدي عامر، وقد سبق لهذا أن تحالف مع عروج وشيخ بني راشد على محاربة الإسبان في وهران.

وقد كان لعروج استراتيجية خلال حملته على تلمسان تمثلت في حفظ خط الرجعة في حالة الانسحاب من تلمسان لذلك عرج على قلعة بني راشد التي تحتل أهمية استراتيجية واقتصادية[3]، حيث أن الإسبان عندما استولوا على المرسى الكبير ووهران كانوا يتزودون بما يحتاجون إليه من قلعة بني راشد والنواحي المجاورة لها، لأن القلعة كانت تملك سوقا يعتبر من أهم أسواق الدولة الزيانية[4].

استغل السلطان أبو حمو موسى الثالث هذه الضائقة الاقتصادية لصالحة ليتمكن من الاستفادة من المساعدة الإنسانية بعد أن فرض على شيوخ القبائل الانصياع له، حيث استغل إطعام الأتراك في المنطقة وبيّن لحلفائه من الإسبان أن الهدف ليس تلمسان فحسب بل هو المرسى الكبير ووهران[5].

---

[1]– مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، ص 77.

[2]– مختار حساني، المرجع السابق، ص138.

[3]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 14.

[4]– الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983، ج2، ص 522.

[5]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 14.

قام الإسبان بتأييد أبي حمو موسى الثالث لأنهم كانوا يدركون ما يمثله عروج من خطر على مصالحهم في المنطقة، لذلك طلب أبو حمو إرسال سبعة آلاف دينار مقابل أخذ رهن من القبائل الموالية له، وأغلب هذه الأموال صرفها على شيوخ القبائل مقابل تجنيدهم المتطوعين للعمل في وحداته العسكرية التي قدرت بحوالي 15 ألف من الفرسان و1400 جندي إسباني، وبفضل هذه القوة توجه إلى قلعة بني راشد لمحاولة قطع خط الرجعة على عروج عند محاصرته في تلمسان[1].

لم يجد عروج أي صعوبة في السيطرة على تلمسان سنة 925هـ/1518م وبسط نفوذه عليها[2]، وأطلق سراح أبو زيان المسعود وأجلسه على العرش، إلا أن وضع تلمسان لم يستقر، لتعود الاضطرابات من جديد وتتدهور العلاقة بين عروج وأبي زيان المسعود، بسبب محاولة هذا الأخير التمرد بمساعدة المعارضين لحكم عروج، مستغلين في ذلك خروجه (عروج) لبسط سيطرته على القبائل القاطنة على حدود المغرب الأقصى مثل بني عامر وبني يزناسن، وإجرائه اتصالات مع مملكة فاس بهدف توحيد الجهود ضد الإسبان، وعند سماعه بخبر هذا التمرد عاد مسرعا إلى تلمسان واستطاع السيطرة على الوضع والقضاء على أبي زيان وسبعين من عائلته[3] وبذلك استطاع السيطرة على تلمسان ولو إلى حين.

لم يكن الإسبان غافلين عما كان يحدث بمدينة تلمسان، وهذه الانتصارات المتوالية التي ما فتئ يحققها عروج، خاصة أنه أصبح على مقربة من مدينة وهران، فسعوا إلى الحد من نشاطه وإبعاده عن تلمسان واسترجاعها لصالح أبي حمو الثالث، لذلك

---

[1]– مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص 143.

[2]– طاهر تومي: العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014—2015، ص 40.

[3]– محمد بوشنافي، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط 1512-1518م"، مجلة عصور، ع5/4 ،جامعة هران، الجزائر، 2004م، ص 275.

قرروا توجيه حملة عسكرية بأمر من شارلكان، تكون انطلاقتها من وهران للقضاء على عروج[1].

بعثت الحكومة الإسبانية سنة 1518م بإمدادات ضخمة وصفت بأنها لم يسبق لها مثيل، بلغ قوامها 10 آلاف رجل[2]، بمساعدة أبي حمو الذي كان على رأس 10 آلاف رجل من القبائل العربية التي تؤيده[3]، وهاجموا في بادئ الأمر قلعة بني راشد التي كان على رأسها إسحاق منذ أن سيطر عليها عروج، ومع أن إسحاق قاوم بشدة رفقة جنوده إلا أن النصر كان لصالح الإسبان والمتحالفين معهم، واستشهد إسحاق ومن معه في هذه المعركة غير المتكافئة[4].

بعد الاستيلاء على قلعة بني راشد، توجه الإسبان رفقة أبي حمو ومن معه إلى تلمسان، وضربوا عليها حصارا محكما. وبالرغم من عدم تكافؤ القوتان، وتفوق الإسبان عدة وعتادا، ومع أن عروج وأتباعه استطاعوا الصمود والمحافظة على المدينة لمدة قاربت الستة أشهر، إلا أن الإسبان تمكنوا من اقتحامها، ودارت معارك عنيفة بين الطرفين داخل المدينة اضطر بعدها عروج للخروج منها والانسحاب إلى قلعة المشور، في انتظار وصول المدد إليه من سلطان فاس مولاي أحمد بحسب الاتفاق المبرم بينهما، إلا أن تأخر وصول الدعم جعله يتوجه نحو البحر، ولكن الإسبان لحقوا به، وبعد قتال طويل استشهد عروج –عن عمر يناهز 44 سنة–، بمكان يسمى الوادي المالح على يد فارس يدعى غارسيا فرنانديز دولابلازا مع عدد كبير من جنوده[5]، وبعدها قام الإسبان

---

[1]– خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص 88

[2]– طاهر تومي، المرجع السابق، ص 41.

[3]– المرجع نفسه، ص 41.

[4]– حساني مختار، "دراسة لمخطوط قلعة بني راشد"، المجلة المغاربية للمخطوطات، ع3 ،مخبر المخطوطات، أعمال الملتقى الوطني للتراث المخطوط، نوفمبر 2006م، غليزان، الجزائر، 2013م، ص253

[5]– المهدي البوعبدلي: "أضواء على مدينة الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، مجلة الأصالة، ع8، الجزائر، 1972، ص 280.

بقطع رأس عروج وأرسلوه إلى الملك الإسباني شارل الخامس الذي قلد غرسيا فرننديز دولابلازا وسام الشرف، وقد شكل هذا الحادث فرصة لإقامة الاحتفالات بإسبانيا ابتهاجا بهذا النصر الذي انتظروه كثيرا[1].

بعد مقتل عروج من قبل الإسبان، دخلت الدولة الزيانية مرحلة جديدة في علاقتها بالعثمانيين في الجزائر وهو ما جعل حير الدين يربط مصير الجزائر بالخلافة العثمانية.

ومنذ عام 1518م، صار بنو زيان عملاء للإسبان طورا وللأتراك العثمانيين طورا آخر، إلى أن تولي صالح رايس السلطة، فأمر الكتيبة العثمانية التي كان حاكم تلمسان قد طلبها لحمايته، بطرد آخر بني زيان، مولاي حسن الذي فر عندئذ إلى الإسبان في وهران ومات فيها.[2]

وجد الإخوة بربروس بلاد المغرب عبارة عن فسيفساء من الإمارات الصغيرة أبرزها إمارة بني مزغنة، إمارة كوكو، وإمارة تنس...، وبالتالي فمن المنطقي أن تتقهقر مكانة تلمسان السياسية وحتى الإدارية في هذا الجو المفعم بالانقسام السياسي، إلا أن الأتراك العثمانيين لم يخططوا لإنعاش المدينة وإعادتها إلى مكانتها المزدهرة السابقة، بل زادت تلمسان في عهدهم تقهقرا في هذا المجال، حينما اتخذ العثمانيون من مدينة الجزائر عاصمة مركزية لهم، واتخذوا بعض مدن وقلاع بايلك الغرب باستثناء تلمسان عواصم للإقليم في فترات معينة، ونقصد بذلك مدينة مازونة، قلعة بني راشد، معسكر، مستغانم ووهران[3].

---

[1]– محمد بوشنافي: المرجع السابق، ص280

[2]– أسماء بلايلي، التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10ه–16م – دراسة في الدوافع والنتائج، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 2، جامعة غرداية، 2017، ص 52

[3]– بن عتو بلبروات: أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 01، المجلد 01، 2009، ص 75.

المبحث الثاني: صالح رايس ينجح في إلحاق تلمسان بالحكم العثماني

بعد الهزيمة التي مني بها الجيش السعدي أمام الجيش الجزائري حاول السلطان سليمان القانوني حل المشاكل السياسية التي اندلعت بين الجزائر والمغرب الأقصى والتي كان لتلمسان وأمرائها الزيانيين دور في تعكير الجو بين الطرفين و من أجل هذا لجا السلطان سليمان إلى الحل الدبلوماسي فأرسل في سنة 1553 م وفدا من العلماء يرأسهم الفقيه أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي[1] إلى المغرب الأقصى للبحث في شروط السلام والمهادنة بين الجزائر والمغرب الأقصى، وعلى إثر هذه البعثة حددت الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى وقد اعتبر نهر ملوية كحد فاصل بين القطرين[2]، وقد كانت الجزائر تسعى إلى تحديد الحدود بينها و بين المغرب الأقصى، لكي تضبط تحركات القبائل المتمردة عليها من جهة، وحماية القبائل المؤيدة لها من جهة أخرى مثل قبيلة بني عامر[3].

كما أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني إلى السلطان محمد الشيخ رسالتين مع الوفد ومن خلال تلك الرسائل اتضح لنا أن السلطان العثماني وضع كل جهة من أجل إصلاح الوضع المتأزم بين الطرفين و عليه احتوت هذه الرسالتين على ما يلي:

-الدعوة إلى توقيف الحرب بين الطرفين وحسن الجوار.

- عزل حسن باشا الذي اتهمه لميله للعنف وعدم حسنه للجوار مع المغرب الأقصى.

---

[1]- محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري، فقيه ومحدث من كبار العلماء، ولد في قرية فرقوش في طرابلس الغرب نشأ في الجزائر وولى الخطابة بها، سافر إلى المغرب الأقصى سنة 1553م، كسفير بين السلطان سليمان القانوني ومحمد الشيخ السعدي، توفي بمدينة الجزائر سنة 1556م، للمزيد انظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص133

[2]- أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة، مرجع سابق، ص 330.

[3]- هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنيين السابع والعاشر الهجريين، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، في التاريخ المغرب الإسلامي الأوسط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014، ص 539.

– تعيين صالح رايس بايلرباي على الجزائر بدله حسن باشا و سوف يعمل على تحسين العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى[1].

– ذكر الهدف الأساسي للبلدين والمتمثل في التصدي لصليبيين الإسبان والبرتغال الذين كانوا قد نالوا من السواحل المغاربية و ليس الصراع على النفوذ والتوسع بين الطرفين.

كان السلطان العثماني سليمان القانوني يسعى إلى تحسين العلاقات، أم أنه كان يطمئن بال السلطان السعدي محمد الشيخ لكي لا يقوم بأي هجوم جديد على تلمسان خاصة وأن صالح رايس البيلرباي الجديد كان مكلفا أولا بوضع حد لبقايا السلطة الزيانية التي أصبحت تهدد وضع الجزائر، بالإضافة إلى هذا كان هناك خطر أخر أوجب على السلطان العثماني إلى الإسراع لحل النزاع بين الجزائر والمغرب الأقصى والمتمثل في خطر إمكانية حدوث تحالف إسباني سعدي يقضي على التواجد العثماني في الجزائر، الأمر الذي أدى به إلى عزل حسن بن خير الدين ودعوة محمد الشيخ السعدي إلى حسن الجوار[2].

والذي يؤكد أن السلطان سليمان القانوني كان يطمئن محمد الشيخ السعدي فقط هو ادعائه أنه قام بعزل حسن باشا بحجة أنه لم يحسن الجوار بينما تذهب أغلب المصادر إلى أن سبب عزل حسن باشا من منصب بايلرباي الجزائر يعود إلى الشائعات التي أشيعت حوله والتي عمل السفير الفرنسي على إشاعتها داخل الديوان العثماني والتي مفادها أن حسن باشا كانت له نية الاستقلال بالجزائر عن الخلافة العثمانية وذلك راجع إلى العلاقة السيئة التي جمعت حسن باشا بالفرنسيين.

---

[1]– محمد حجي، العلاقات المغربية التركية في القرن 16، مجلة المناهل، العدد25، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ديسمبر 1982، ص 10–11.

[2]– عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية (دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية)، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006م، ص 79

ولما كانت الدولة العثمانية متخوفة من إمكانية استقلال الجزائر عنها سارعت إلى عزل حسن باشا واستدعائه إلى إسطنبول[1].

تمكن صالح رايس بعد أن أصبح واليا على الجزائر من الهجوم على السواحل الأجنبية وظفر بعشرة سفن في سنة 1553 م، فساقها للجزائر وكان من أهلها أبو حسون الوطاسي الذي خلعه أخيه محمد الشيخ من الحكم، وقتها فر أبو حسون لإسبانيا لكي ينجدوه إلا أنهم رفضوا نجدته وقدموا له أموالا فقط، بعد أن تبين لصالح رايس وجود السلطان الوطاسي وعرف ما حل به، انزعج منه لأنه لجأ للنصارى لطلب المساعدة دون طلبها من الجزائر[2].

توجه أبو حسون للجزائر مع صالح رايس، وبعد أن مثل بالجزائر قام بوصف محاسن المغرب وتعظيمها وأخبرهم: "أن ملكها سلبني ملكي وملك آبائي فهلا تعينوني وتذهبوا معي لقتاله لأستعيد عرشي وسيكون لكم منفعي في ذلك من غنائم وذخائر ومال".

اعتبر صالح رايس حاكم الجزائر الأمير الوطاسي وسيلة لاستخدامه لتوسيع النفوذ العثماني باتجاه فاس لذلك بدأ الاهتمام بينهما وحدثت بينهما علاقة ودية على أساس المصالح[3].

ووقع الاتفاق بين صالح رايس وأبو حسون على مهاجمة فاس والدخول للمغرب الأقصى لاستردادها من السعديين و من حكم محمد الشيخ السعدي[4].

---

[1]– عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود على عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989م ، ص 181،

[2]– محمد الأفراني المراكشي، نزهة الحادي لملوك القرن الحادي عشر، مطبعة بردين، باريز، فرنسا، 1888م، ص 3

[3]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 48

[4]– مجهول: تاريخ الدولة السعدية التمكدارتية، تق وتح: عبد الرحيم بن حادة، دار تنميل لطباعة والنشر، مراكش، 1994، ص 22.

قبل أن يتحرك صالح رايس باتجاه فاس وعده أبا حسون بأنه سيعطي الجنود الأتراك العثمانيون أجرا يوميا ووعده بأنه سيتنازل له عن جميع الكنوز الموجودة بفاس بعد استرجاعه للعرش[1].

كما تعهد له بأنه سيعترف بمجرد جلوسه على العرش بالتبعية للسلطان العثماني سليمان القانوني والخطبة له على المنابر وتقديم الولاء له كسائر مناطق شمال إفريقيا[2].

غادر صالح رايس الجزائر في أوائل 1553 م بقوة تتألف من ستة ألاف جندي مسلح بالبنادق وألف خيال وعدد من المدافع ، كما انضم إليه في الحملة ابن القاضي سلطان إمارة كوكو[3].

سارت الجيوش ومرت على وهران، وقصدت تلمسان وهنا طلب صالح رايس مساعدة القبائل، ووصلت القوات الجزائرية إلى بادس المغربية على رأسها صالح رايس وأبو حسون الذي تلقى الطاعة من قبل القبائل المجاورة وانضم إليه مولاي عمر ملك دبدو الذي كان لاجئا في مليلية منتظرا عودة السلطان الوطاسي.[4]

وفي هذه الأثناء كان محمد الشيخ بمراكش يشرف على العمليات الحربية ضد برابرة جبل درن المغربي، عند علمه بالتحالف الجزائري الوطاسي والحملة المصوبة نحو فاس فرجع فورا على رأس ما كان عنده من جنود وفرسان ثم تحرك لتازة المغربية وانتظر القوات المشتركة[5].

---

[1]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 48

[2]– أحمد توفيق المدني، حرب 300 سنة ، المرجع السابق ، ص 34

[3]– عزيز سامح الألتر، المرجع السابق ، ص 188

[4]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 486

[5]– المصدر نفسه، ج2، ص 486

كان صالح رايس يزحف ببطء ما جعل محمد الشيخ يعود لفاس لزيادة المعونة، لم يمض على مغادرته أيام حتى دخل صالح رايس تازة واستولى عليها وأقام حامية بها[1]، بعد الاشتباك مع السعديين في معارك متواصلة في ساحة فاس انهزم محمد الشيخ وتقدمت القوات الجزائرية ومعها السلطان الوطاسي نحو فاس ودخلتها في 08 جانفي 1554 م بعد الاستيلاء عليها وهنا فر محمد الشيخ السعدي بعد معارك شديدة، ففرح أهل فاس بقدومه ورجوعه لملكه واستبشروا خيرا بعودته وضمنوا استقرارهم وأمنهم.

تمكن صالح رايس بعد مكوثه بفاس لمدة 4 أشهر ضمان الاستقرار لأبي حسون وإخلاصه للعثمانيين وحكامها في الجزائر فلم يترك جهاده ضد الإسبان فأرسل فريقا من جنده لبلاد الريف المغربية واسترجع معقلهم الكبير جزيرة بادس[2].

مما سبق نستنتج أن تعيين صالح رايس بيلر باي على إيالة الجزائر في جانفي 1552م، في ظروف مغاربية ودولية وقرر في أواخر سنة 1553 م إرسال السير نحو المغرب على رأس 11 ألف جندي، وقد ذكر زغار محمد مختار[3] أن تولى صالح رايس لحكم الجزائر كانت في ظروف معقدة يمكننا توضيحها انطلاقا من دراسة عدة مصادر عايشت الأحداث أو كانت قريبة من تاريخ وقوعها وسجلاتها بدقة تامة، فالأوضاع الدولية كانت جد صعبة ومتشابكة بتفاقم الصراع العثماني الصفوي بالشرق، وتجدد الحرب الإسبانية بقيادة نسار كان في البحر المتوسط[4].

---

[1]– أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 340

[2]– أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 342

[3]– زغار محمد مختار، مرجع سابق، ص 91

[4]– بن عبد المولى علال، بن بوزيد وليد؛ التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني 1518–1830، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص الحديث والمعاصر، جامعة أدرار، 2017–2018، ص 09.

وقد كان لجهود صالح رايس أثار حسنة على مستقبل الجزائر، بحيث امتد نفوذ السلطة التركية إلى معظم المناطق بالبلاد الحالية في الجهات الثلاثة الشرقية، الغربية، الجنوبية.

أما الظروف المغاربية الخاصة فكانت ارتفاع حدة التوتر في ملاقات الجزائرية المغربية بقيادة السعديين وسلطانهم الشريف مولاي محمد، الأمر الذي جعل السلطان سليمان من صالح رايس أن يتعامل مع الشريف السعدي بليونة والذي راح يمنحه غنائم هائلة كان قد غنما في حملاته السابقة على إسبانيا والبرتغال وجبل طارق، لكن السلطان السعدي لم يرد للعلاقات أن تتحسن بين الطرفين إذ أعلن نفسه خليفة للمسلمين وأميرا للمؤمنين منافسا للسلطان في إسطنبول[1]، فنجد أنه من غير العادة أن يكتب السلطان ثلاث رسائل لأعيان إيالة الجزائر واحدة منها لتزكية الوالي الجديد، ورسالتان للسلطان السعدي ملك فاس، أما الرسالة لأهالي الجزائر فجاء فيها إعلام السلطان الأهالي بتولية صالح رايس شؤون إيالة الجزائر وما يتصف به من شجاعة وشهامة وإقدام ونقاء السيرة والسريرة، وأنه اشتهر بكمال قوته وصلابته عند الشدائد أمرا إياهم بوجوب الطاعة والالتفاف حوله.

إذا وبتولي صالح راس الحكم سنة 1552، أدرك خطورة التهديدات السعدية للمناطق الغربية للبلاد، فتوجه إلى تلمسان، وبعد أن درس الوضعية السياسية هنالك فعرف ما كانت عليه البلاد يومئذ من الضعف وسوء التحصين أمام جيش الإسبان الجاثم بوهران وانكشفت له بها علائق سرية و اتصالات مريبة مخيفة بين مولاي الحسن حاكم تلمسان والإسبان[2].

---

[1]– زغار محمد مختار، مرجع سابق، ص 91

[2]– أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 321.

أعلن صالح رايس أن الوفاق المراكشي الإسباني، كان موجها دون شك ضد الجزائر فقد أرسل الكونت دالكودات وفدا إلى فاس بطلب من محمد المهدي للتفاوض حول إعداد حملة إسبانية ضد الجزائر، كما أسند الملك فيليب الثاني مهمة التفاوض لعقد هدنة مع الشريف السعدي للكونت دالكودات، وذلك في رسالة مؤرخة في أفريل 1556م[1].

وقبل هذا كان صالح رايس مدركا لحجم الخطر الشريفي الإسباني، لهذا عزم على إلحاق تلمسان نهائيا بالدولة الجزائرية، وإنهاء عرشها، و بالاتفاق مع أعيان المدينة وعلمائها تم خلع الملك الزياني مولاي حسن، وكان ذلك سنة 1554م[2].

إضافة إلى احتلالهم مدينة وهران، فقد ظل التواجد الإسباني يشكل تهديدا وخطرا على الجزائر من الناحية الشرقية، فاستمرار الوجود الإسباني في بجاية، يعد بالنسبة للسلطة الحاكمة مؤشرا على أن النية مبيتة لاحتلال كل السواحل الجزائرية، لذلك وجه صالح رايس اهتماماته نحو الجهة الشرقية بعدما تمكن من تأمين الجهة الغربية نسبيا.

خرج رايس صالح، ووجهته بجاية في شهر جوان سنة 1555م، وأعطى أوامره بتحرك الأسطول نحو بجاية، وكان يتشكل من اثنين وعشرين مركبا، على متنه اثني عشر مدفعا، إضافة إلى الأسلحة والعتاد، أما صالح رايس فتوجه إلى بجاية عن طريق البر ومعه ثلاثة آلاف من المشاة، وخلال مروره بمنطقة القبائل سلمة ابن القاضي عددا معتبرا من القوات زادت من تعزيز صفوفه، وقد عسكر الجيش في مصب وادي الصومام[3]، بينما كان الأسطول يرسو في وسط الخليج، ولما علم صالح رايس بارتفاع منسوب مياه الوادي، أمر بتغلغل السفن إلى داخله مستعينا بأقوى ما لديه من الجدافين، وعلى إثر ذلك تم جر المدافع إلى الجهات المرتفعة المشرفة على المواقع الإسبانية، أما قبائل المناطق

---

[1]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج3، دار الثقافة بيروت، 1400ه/1980م، ص 87–88.

[2]– محمد مزين: الكتابات التاريخية المتعلقة برصد الخطاب المعتمد على علاقات المغرب بالعثمانيين في الفترة السعدية، المجلة التاريخية المغربية، العدد، 29– 30، جويلية 1983، ص. 459

[3]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 379.

المجاورة فقدر عدد رجالها بثلاثين ألفا، توزعوا حول سهول المدينة ومرتفعاتها للمساهمة في تضييق الخناق على الإسبان.

ولما علم القائد الإسباني دون لويس دي بيرلاتا (Don Luis de Perlata) بهذه الحملة أسرع إلى القيام بالإجراءات الدفاعية الضرورية، فنصب المتاريس بصورة عاجلة أمام أبواب المدينة، ولما شعر بتعرضه للحصار، خرج بقواته نحو القرى القريبة، ونهب مواشيها ومؤنها، وقام بنقلها على عجل نحو القلاع الثلاثة[1].

أدرك بيرلاتا (Perlata) عدم جدوى من المقاومة، ولكنه لم يعلن استسلامه قبل أن يطلب صالح باشا منه التسليم، إزاء ذلك بدأ صالح باشا يشدد قصفه على المواقع الإسبانية مما دفع الإسبانيين على الاستسلام، أما دون بيرلاتا فقد تمكن من النجاة رفقة نحو مائة وعشرين من رجاله على متن سفينة نقلتهم إلى أليكانت بإسبانيا.

وفي 28 أيلول دخل صالح رايس بجاية وألقي القبض على ستمائة شخص، كما غنم الأسلحة والذخائر الإسبانية، وتبريرا لما حدث أعدم الإسبان دون بيرلاتا ككبش فداء، مع أنه أبدى مقاومة شديدة. وقد نفذ فيه حكم الإعدام في ساحة فالا دو ليدين[2].

ما إن تمكن صالح رايس من تخليص الجهة الشرقية من البلاد من الاحتلال الإسباني حتى أخذ يعد نفسه لتنظيم هجوم على المواقع التي بقيت تحت أيديهم في غرب البلاد أي وهران والمرسى الكبير. لكنه كان في حاجة ماسة إلى قوات عسكرية معتبرة لتنفيذ الهجوم. كما كان يدرك جيدا شدة التحصينات التي كان يتميز بها الموقعان، وحرص الإسبان الشديد على الاحتفاظ بهما، خاصة بعد ضياع بجاية من بين أيديهم[3].

---

[1]– عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 16، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002، ص 221.

[2]– سامح عزيز التر: المرجع السابق، ص 195.

[3]– عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص. 224.

وكان صالح رايس جادا في تخليص وهران والمرسى الكبير من أيدي المسيحيين لذلك شرع في إعداد العدة لتحقيق هدفه، فجهز ابنه محمد للاتصال بالدولة العثمانية طالبا تزويد الجزائر ببعض السفن والرجال، فأرسل له السلطان سليمان أربعون سفينة، وستة آلاف من الرجال، وكان ذلك في ربيع 1556 [1].

ولما انتهى صالح رايس من إعداد المراكب والجنود، خرج من مدينة الجزائر على رأس ثلاثين سفينة، على متنها أربعة آلاف رجل، للانضمام إلى الأسطول العثماني عند رأس ماتفو، وكان مرض الطاعون قد ضرب آنذاك مدينة الجزائر[2]، فلما اشتد المرض على صالح رايس قفل راجعا إلى مدينة الجزائر، حيث توفي بها بعد ثلاثة أيام من عودته[3]، وكان عمره عند وفاته سبعون سنة[4].

بعد وفاة صالح رايس[5]، وصل الأسطول العثماني إلى مدينة الجزائر لوضع الترتيبات، ثم سرعان ما أعطى حسن قورصو الأوامر بالتوجه نحو مدينة وهران، فقصدها هو عن طريق البر على رأس جيش من ثلاثة آلاف انكشاري، وأربعة عشر ألف من سكان مدينة الجزائر، والمناطق القريبة منها، إضافة إلى نحو ثلاثين ألفا من المتطوعين ما بين عرب و بربر جاءوا معززين جيوشه[6].

وصل حسن قورصو إلى وهران في 14 أوت 1556، حيث قام بمطاردة بعض الجنود الإسبان الذين كانوا تحت قيادة الدون قابريال دو لا كويفا ومن ثم شرعت القوات الجزائرية في مباغتة الأهداف الإسبانية، ومنها برج القديسين الواقع إلى الغرب في الطريق المؤدية إلى تلمسان، وبعد نحو أربعة أيام من القصف المدفعي، تمكن حسن

---

[1]– هايدو، المصدر السابق، ص 101–102.

[2]– المصدر نفسه، ص 102.

[3]– مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 332

[4]– هايدو، المصدر السابق، ص 105

[5]– تولى صالح رايس حكم الجزائر ما بين 1552 و 1556. وتولى بعده الحكم حسن قورصو

[6]– مارمول كربخال: المصدر السابق، ص. 332

قورصو من الوصول إلى برج الصالحين الواقع خارج المدينة بقصد التحكم في المنبع المائي الذي تأتي منه المياه إلى وهران وتمكن بذلك من تشديد الخناق على هذه المدينة، وفي هذه الأثناء وصله أمر السلطان بإعداد السفن لمواجهة الجنوبي اندري دوريا الذي كان يعيث فسادا في أرخبيل المورة، والبوسفور مما أدى إلى رفع الحصار على وهران وعودة العساكر إلى السفن[1].

أحس الإسبان بالخطر الذي كان يهددهم، وهو ما دفعهم للعمل على تعزيز تحصيناتهم الدفاعية في وهران والمرسى الكبير.

وفي عهد حسن ابن خير الدين[2]، تم تجهيز حملة استعاد بها تلمسان من أيدي القوات السعدية، ولم يكتف حسن باشا بإجلاء خصومه من تلمسان بل طاردهم حتى مدينة فاس، ثم تراجع بعدها لعدم توازن القوات، وتفاديا من اعتراض الإسبان له عند عودته، خاصة وأنهم شرعوا في الاستعدادات لقطع طريق عودته[3].

وفي الأخير مكن القول أنه الفضل في إلحاق تلمسان يعود لصالح رايس الذي وبدخوله تلمسان قام بعزل الأمير الحسن بن عبد الله الزياني سنة 1554م الذي فر إلى الإسبان، وقد ثبت تعاونه وعمالته لهم ضد العثمانيين والجزائر، وتم بذلك إخضاع مملكة تلمسان نهائيا وإلحاقها رأسا بالسلطة المركزية بالجزائر، وبذلك تم وضع حد لإمارة بني زيان التي كانت تعيش في فوضى وانحلال تام ولم يكن من مخلص لها إلا التدخل العثماني، وبذلك أصبحت قطعة من التراب الجزائري الموحد، وتم قطع الطريق على السعديين والإسبان للتدخل في شؤون هذه الإمارة.

---

[1]– المصدر نفسه، ص 332

[2]– تولى حكم الجزائر سنة 1557، بعد كل من حسن قورصو الذي دام حكمه نحو سنة واحدة 1556، ومحمد تكلرلي الذي تولى الحكم سنة 1556. ومعلوم أن حسن ابن خير الدين قد تولى الحكم ثلاث مرات، بدايته كانت سنة 1557، لبضعة أشهر، ثم تولى الحكم بعد أن تولاه كل من يوسف ويحي سنة 1557، والمرة الثالثة كانت سنة 1562 إلى غاية 1567.

[3]– هايدو، المصدر السابق، ص 123–14.

الخاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع تلمسان من الحكم الزياني إلى السلطة العثمانية، وبعد ما تم تناوله في ثنايا الفصول توصلنا إلى جملة من الإستنتاجات يمكن أن نعرضها في النقاط التالية:

كان لضعف المقاومة المحلية وغياب السلطة الزيانية في مدينة تلمسان، تلك ذلك حال السلطة التي خضع حكامها للإسبان، كل ذلك حال دون صد المشروع الإسباني الذي كان يهدف إلى احتلال المنطقة.

كان أولى معالم القوة الجديدة المنتظر منها تغيير قيم المعادلة وأطرافها هي بروز البحارة من آل بربروس الذين انضم إليهم العديد من السكان وشكلوا قوة هامة.

بدات طلائع الأخوة بربروس عروج وخير الدين وإسحاق، وصلوا إلى الحوض الغربي للمتوسط منذ القرن الرابع عشر ولكن تدخل أوائل العثمانيين في الجزائر، كان استجابة لطلب الجزائريين، لمشاركتهم في الدفاع عن بلادهم من الاحتلال الإسباني.

تقدم بابا عروج إلى تلمسان حيث كان السلطان الزياني أبو حمو موسى الثالث قد اغتصب الملك من ابن أخيه أبو زيان الثالث وأودعه السجن، فتلقى دعوة من بعض أعيان تلمسان لإعادة أبو زيان الثالث إلى الملك وانتصر بابا عروج عليه، ففر السلطان الزياني أبو حمو موسى الثالث إلي فاس ثم إلى وهران، ثم توجه إلى بلاط ملك إسبانيا لطلب المساعدة منه ضد العثمانيون.

دخل عروج تلمسان في رمضان 923/سبتمبر 1517م، وأحكم سيطرته عليها، وتخلص من الحاكم الزياني أبو زيان الثالث عندما تآمر على الدولة العثمانية بعد أن أعاد له الملك فترة من الزمن، وعمل على تحصين تلمسان. وقام بتحالف دفاعي وهجومي بينه وبين سلطان فاس، ليستقر بابا عروج في المدينة.

بعد تولي صالح رايس الحكم في الجزائر كبايلرباي توجه إلـــى تخلـــيص الجهـــة الشرقية من البلاد من الاحتلال الإسباني، ثم وجه أنظاره إلى الجهة الغربية فتوجـــه فـــي حملة لتخليص تلمسان وباقي المناطق ومحاولة إخضاعها للحكم العثماني.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا في الإلمام بجوانب موضوعنا ونرجوا أن تكون هذه الدراسة فاتحة لدراسات ذات بعد أوسع حول الموضوع لإعادة النظر في جوانب أخرى، وهو ما يزيد من قيمة البحث التاريخي، ونسأل من المولى عز وجل السداد والتوفيق.

(1

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1) الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا. تر: مجد حجي ومحمد الأخضري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ج 2

2) مؤلف مجهول، فتح خير الدين لتونس مختصر من غزوات عروج، المكتبة الوطنية، رقم 1618، الجزائر

3) مرمول كربخال، إفريقيا. تر: محمد حجي وأخرون، الرباط، دار نشر المعرفة، 1989م، ج 2

4) محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان –مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، د

5) ط، تح وتع: محمود أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م

6) محمد الأفراني المراكشي، نزهة الحادي لملوك القرن الحادي عشر، مطبعة بردين، باريز، فرنسا، 1888م

7) مجهول: تاريخ الدولة السعدية التمكدارتية، تق وتح: عبد الرحيم بن حادة، دار تنميل لطباعة والنشر، مراكش، 1994.

8) خير الدين بربروس: مذكرات خير الدين بربروس: تعريب محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010.

9) الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983، ج2

10) ج. وولف، الجزائر وأوروبا، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 26

11) احمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وتنكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج05، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1998م

ثانيا المراجع:

12)عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود على عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989م

13)إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.

14)أحمد التوفيق المدني، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين (1530-1550م)، الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1976.

15)أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2009

16)جلال يحي، العالم العربي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1998، ج 01

17)الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر. بيروت، دار مكتبة الحياة، ط2، 1965، ج 2

18)حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية. الجزائر، منشورات الحضارة، 2009، ج 2.

19)شعبة اللحم: قرية متواجدة حاليا في ولاية عين تموشنت في الجنوب الغربي من مدينة وهران

20)عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، دط، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م

21)عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج3، دار الثقافة بيروت، 1400ه/1980م

22)عبد العزيز فلالي، تلمسان في العهد الزياني –دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، د ط، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2002

23)عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية (دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية)، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006م

24)عبدالرحمن على الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (711م-1493م)، دار القلم، دمشق، ط05، 1997م

25)عمر عبد العزيز عمر، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998

26)مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991

27)مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، د ط، تق وتص: محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت، ج2

28)محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور -دورها في سياسة وحضارة الجزائر-، تق: عبد الجليل مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007م.

29)محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا- د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م

30)مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية -ج1- الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

31)نصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013

ثالثا: المقالات (المجلات):

32) أسماء بلايلي، التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10ه-16م - دراسة في الدوافع والنتائج، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 2، جامعة غرداية، 2017

33) بن عتو بلبروات: أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 01، المجلد 01، 2009.

34) حساني مختار، "دراسة لمخطوط قلعة بني راشد"، المجلة المغاربية للمخطوطات، ع3 ،مخبر المخطوطات، أعمال الملتقى الوطني للتراث المخطوط، نوفمبر 2006م، غليزان، الجزائر، 2013م

35) فؤاد طوهارة، المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العهد الزياني (7هـ-وهـ/15-13م)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 16حزيران، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة-الجزائر، 2014م

36) لطيفة بشاري بن عميرة، صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد". مجلة عصور الجديدة، ع 7-8، 2012/2013، وهران

37) لوبي كارديك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، تعريب: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية والديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، تونس، 1983

38) محمد بوشنافي، مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الإسباني على المغرب الأوسط 1512-1518م"، مجلة عصور، ع5/4 ،جامعة هران، الجزائر، 2004م

39) محمد حجي، العلاقات المغربية التركية في القرن 16، مجلة المناهل، العدد25، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ديسمبر 1982

40) محمد مزين: الكتابات التاريخية المتعلقة برصد الخطاب المعتمد على علاقات المغرب بالعثمانيين في الفترة السعدية، المجلة التاريخية المغربية، العدد، 29- 30، جويلية 1983

41) محمد دادة، تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م، عصور الجديد

42) المهدي البوعبدلي: "أضواء على مدينة الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، مجلة الأصالة، ع8، الجزائر، 1972

رابعا: الرسائل الجامعية

43)بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633هـ-962هـ /15551235م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 2002م

44)بلحاج محمد، مخطوط النجم الثاقب فيها لأولياء الله من مفاخر المناقب "الجزء الأول" دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، تخصص الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2017-2018م

45)بن عبد المولى علال، بن بوزيد وليد؛ التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص الحدیث والمعاصر، جامعة أدرار، 2017-2018

46)طاهر تومي: العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014—2015.

47)عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 16، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002

48)نعيمة بوحمشوش، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، رسالة ماجستير، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998/1999م

49)هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنيين السابع والعاشر الهجريين، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، في التاريخ المغرب الإسلامي الأوسط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014.

خامسا: المراجع الأجنبية.

50) G. Jacqueton, l'Expédition d’A. Martin de Angulo contre Tlemcen, R.A, N° 36

51) P. Ruff, de la domination espagnole à Oran sous le gouvernement du Comte d’alcaudète (1534-1558), Ed, Bouchène, 1998.

52) Saida Benchikh-Boulanouar: L'Algerie, par ses Archives. casabah éditions, Alger, 2015.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
مقدمة	1
الفصل الأول: الأوضاع العامة بتلمسان خلال نهاية الحكم الزياني	
المبحث الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية بتلمسان	6
المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.	14
أولا: الأوضاع الاقتصادية	14
ثانيا: الأوضاع الاجتماعية	18
الفصل الثاني: جهود العثمانيين في الدخول إلى تلمسان	
المبحث الأول: جهود الإخوة بربروس.	26
أولا: ظروف تواجد الإخوة بربروس بتلمسان	26
ثانيا: تدخل الأخوة بربروس.	29
ثالثا: سيطرة الإخوة بربروس على تلمسان وضمها للدولة العثمانية:	31
المبحث الثاني: صالح رايس ينجح في إلحاق تلمسان بالحكم العثماني	36
الخاتمة	47
قائمة المصادر والمراجع	50
فهرس المحتويات	56

أ

بحمد الله